

التحرير والتنوير

فأما بعثة موسى فقد أتت بتكوين أمة وتحريرها من استعباد أمة أخرى إياها وتكوين وطن مستقل لها وتأسيس قواعد استقلالها وتأسيس جامعة كاملة لها ووضع نظام سياسة الأمة ووضع سياسة يدبرون شؤونها ونظام دفاع يدفع المعتدين عليها من الأمم ويمكنها من اقتحام أوطان أمم أخرى وإعطاء كتاب يشتمل على قوانين حياتها الاجتماعية من كثير نواحيها فبعثة موسى كانت أول مظهر عام من مظاهر الشرائع لم يسبق له نظير في تاريخ الشرائع ولا في تاريخ نظام الأمم وهو مع تفوقه على جميع ما تقدمه من الشرائع قد امتاز بكونه تلقينا من المطلع على حقائق الأمور المرید إقرار الصالح وإزالة الفاسد .

أخاه معه يجعل أن موسى طلب استجاب إلهه إن حيث من كليهما مبعوثين وهارون موسى وجعل A E هارون مؤيدا ومعربا عن مقاصد موسى فكان بذلك مأمورا من إلهه بالمشاركة في أعمال الرسالة وقد بينته سورة القصص فالمبعوث أصالة هو موسى وأما هارون فبعث معينا له وناصره لأن تلك الرسالة كانت أول رسالة يصحبها تكوين أمة .

وفرعون ملك مصر وقد مضى الكلام عليه عند قوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه) في سورة الأعراف وعلى صفة إرسال موسى إلى فرعون وملئه وفرعون هذا هو منقلب الثاني أحد فراعنة العائلة التاسعة عشرة من الأسر التي ملكت بلاد القبط . والمراد بالملأ خاصة الناس وسادتهم وذلك أن موسى بعث إلى بني إسرائيل وبعث إلى فرعون وأهل دولته ليطلقوا بني إسرائيل .

والسين والتاء في (استكبروا) للمبالغة في التكبر والمراد أنهم تكبروا عن تلقي الدعوة من موسى لأنهم احتقروه وأحالوا أن يكون رسولا من إلهه وهو من قوم مستعبدين استعبدتهم فرعون وقومه وهذا وجه اختيار التعبير عن إعراضهم عن دعوته بالاستكبار كما حكى إلهه عنهم فقالوا (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) .

وتفريع (استكبروا) على جملة (بعثنا) يدل على أن كل إعراض منهم وإنكار في مدة الدعوة والبعثة هو استكبار .

وجملة (وكانوا قوما مجرمين) في موضع الحال أي وقد كان الإجماع دأبهم وخلقهم فكان استكبارهم على موسى من جملة إجرامهم .

والإجماع : فعل الجرم وهو الجناية والذنب العظيم . وقد تقدم عند قوله تعالى (وكذلك نجزي المجرمين) في سورة الأعراف .

وقد كان الفراعنة طغاة جابرة فكانوا يعتبرون أنفسهم آلهة للقبط وكانوا قد وضعوا

شرائع لا تخلو عن جور وكانوا يستعبدون الغرباء وقد استعبدوا بني إسرائيل وأذلّوهم قروناً
فإذا سألوهم استأصلوهم ومثلوا بهم وقتلوهم كما حكى الله عنهم (إن فرعون علا في الأرض
وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين)
وكان القبط يعتقدون أوهاماً ضالة وخرافات فلذلك قال الله تعالى (وكانوا قوماً مجرمين) أي
فلا يستغرب استكبارهم عن الحق والرشاد ألا ترى إلى قولهم في موسى وهارون (إن هذان
لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) فأغراهم الغرور
على أن سموا ضلالهم وخورهم طريقة مثلى .

وعبر ب (قوماً مجرمين) دون كانوا مجرمين للوجه الذي تقدم في سورة البقرة وفي مواضع
من هذه السورة .

(فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما
جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون) أي لما رأوا المعجزات التي هي حق ثابت وليست بتخيالات
وتمويهات وعلموا أن موسى صادق فيما ادعاه تدرجوا من مجرد الإباء المنبعث عن الاستكبار
إلى البهتان المنبعث عن الشعور بالمغلوبة